الجرجاني و نظرية النظم

شغلت قضية الاعجاز القرآني الفكري البلاغي و النقدي العربي منذ القرن الاول للهجرة ،

و لم يكن عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) اول من تكلم فيها ولا اخرهم و مع ذلك فكتابه (دلائل الاعجاز) يحتل مركزا مرموقا ضمن المؤلفات التي وضعت لاثبات اعجاز القرآن الكريم من جهة نظمه وتاليفه ،و السبب ان مؤلفه نظر الى الاعجاز من زاوية لم تألفها معظم الدراسات السابقة و اللاحقة حتى ليصح القول : انه يمثل حلقة متميزة في سلسلة الدراسات التي عالجت الاعجاز القرآني على مر العصور.

عبد القاهر الجرجاني هو إمام اللغة عبد القاهر بن عبد الرحمن الجُرْجاني، وكنيته أبو بكر، ولد في جرجان في بلاد فارس -التي تقع اليوم في شمالي إيران- سنة 400هـ بحسب التقديرات،[١] غير أنّ المؤرّخين لم يحدّدوا سنة ولادته على نحو دقيق، وقد بقي في جرجان لم يغادرها حتى وفاته سنة 474 أو 471هـ على اختلاف الروايات، وقد ولد لأسرة رقيقة الحال، وكان ولوعًا شغوفًا بالعلم محبًّا للثّقافة، وقد تتلمذ على خيرة شيوخ جرجان، وكذلك قرأ إرث أقطاب الأمّة كسيبويه وابن قتيبة الدينوري والجاحظ، وكان شافعيًّا متكلّمًا على طريقة شيخ الإسلام أبي الحسن الأشعري، وكان يوصف بالورع والزهد، وكان إمامًا في العربيّة، وإليه انتهت رياسة النحو في عصره ويرجع الفضل إليه في تأسيس علم البلاغة، ولعلّ أعظم كتابين وضعهما في هذا المجال هما دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وقد وضعهما خدمة للقرآن الكريم، وقد اشتُهر الإمام عبد القاهر بنظريّة النظم التي تفسّر إعجاز القرآن الكريم من خلال النظم.

*جهود عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم

إن فكرة النظم ليست من اختراع عبد القاهر الجرجاني، ولكن الذي فعله عبد القاهر هو أنّه شرحها وبسّطها، وكان ذلك في كتابه "دلائل الإعجاز"؛

يرى الجرجاني ان الاعجاز انما يكمن في النص القرآني نفسه و فيما يسميه النظم على وجه التحديد

و فكرة (النظم) التي يفصل فيها الجرجاني القول كثيرا ليست جديدة تماما فجذورها قائمة في بعض كتابات الجاحظ (ت 255هـ) و الرماني (ت386 هـ) و الخطابي (ت388هـ) و الباقلاني (ت403هـ) و القاضي عبد الجبار المغزلي (ت 415هـ)

و قد دفع هذا بعضهم الى القول بتأثر الجرجاني بهؤلاء جميعا او بعض منهم.

ولا يوجد شك في ان الجرجاني استوعب كل الافكار التي سبقته في هذا الموضوع و حاول ان يخرج بنظريته ليس لتفسير الاعجاز القرآني و حسب بل النص الكلامي الرفيع شعرا كان ام نثرا .

وفي ضوء هذا يجمع الدارسون على ان الجرجاني جاء بنظرية تطابق احدث ما وصلت اليه النظريات الحديثة في علم اللغة التي تذهب الى ان اللغة ليست مجموعة من الالفاظ بل مجموعة من العلاقات نص

وترتكز فكرة نظريته على أسس معينة، ولعلّ أهمها علم النحو الذي يُعنى بالألفاظ والتراكيب، ويُقصد بالنظم توخّي معاني النحو وفقاً للأغراض التي يُصاغ منها الكلام، وبالتالي فإنّ معاني النحو هي التي تتعلّق بالفكر ولا يقتصر النظم على تتابع النطق بالألفاظ، فلو كان هذا هدفه لاستوى الجميع في حسن النظم وسوئه، إلّا أنّه يُقصد به أيضاً تناسق دلالات

الألفاظ، وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل، وبالتالي فإنّ النظم يُعنى بالمعاني وليس الألفاظ، فالألفاظ هي التي تتبع المعاني

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنّه لا قيمة للّفظة المفردة في ذاتها لا من جهة الجَرْس ولا من جهة الدلالة، ولكن المزيّة تكون في انتظامها مع مفردات أخرى في جملٍ أو عبارات، وهناك يتلاءم معناها مع معاني الألفاظ المنظومة معها في سلكٍ واحد، فمن هنا يعلم المرء أنّ الألفاظ لا تكتسب ذلك الفضل إلّا إذا كانت منتظمةً في سلكٍ من التعبير وقد انضمّ بعضها إلى بعض، فبذلك تكون قد أخذت مكانها الذي تتطلّبه الصورة منها، وكذلك تكون قد انسجمت مع الكلام الذي قبلها والذي بعدها لتأدية المعنى الذي يرمي إليه المتكلّم، وبذلك تكون قد التقت بلاغة الكلمة مع فصاحتها مع نظريّة النظم.

ويشكل كتاب دلائل الاعجاز حجر الاساس في نظريه النظم على الرغم من ان كتابه اسرار البلاغه معني هو الاخر بهذه الفكرة ولكن على نحو اقل لان اهتمام الجرجاني في اسرار البلاغة موجه الى الكشف عن الجانب النفسي في النص الادبي من جهة او دور الصور البيانية في ذلك من جهةٍ اخرى.

وقد عُني الجرجاني في كتابه اسرار البلاغه في معنى المعنى اي المعنى الذي يكمن وراء المعنى الظاهري للعبارة و يريد بذلك المعاني المجازية اما في كتابه دلائل الاعجاز فهو معني بمعنى النظم وكونه تابعا للمعاني التي يراد التعبير عنها.

وتكلم عبد القاهر ـ على ما يسمّى بـ(معنى المعنى)، فقال:((أولا ترى أنّك إذا قلت: هو كثير رماد القدر، أو قلت: طويل النجاد، أو قلت في المرأة: نؤوم الضحى، فإنّك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ولكن يدلّ اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك كمعرفتك من كثير رماد القدر أنَّه مضياف، ومن طويل النجاد أنّه طويل القامة، ومن نؤوم الضحى في المرأة أنّها مترفة مخدومة لها من يكفيها

أمرها...))، أي أنَّ في هذه الجمل معنيين: المعنى الأولي الذي تستدل عليه من ظاهر اللفظ، والمعنى الثانوي الذي تستدل عليه بعقلك، وهو ما يسمّى بـ(معنى المعنى). ثم يلخص لنا عبد القاهر هذه الفكرة بقوله: ((وإذ قد عرفت هذه الجملة فهاهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى ثمَّ يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك)) ( ). من هنا نرى أنَّ المعاني الإضافية عند عبد القاهر هي أساس جمال الكلام، وإليها ترجع الفضيلة. وهذه الفكرة لم يلتفت إليها أحد من النقاد العرب السابقين، وتناولها بالبحث النقاد الغربيون وسموها بـ(معنى المعنى) أيضا

ينكر الجرجاني كما اشرنا ان يكون الاعجاز القراني في الفاظ القران وحدها او في معاني الكلمات مفردة كما يرفض ان يكون الاعجاز في ترتيب الحركات والسكنات او في الفواصل ،ولا يمكن ايضا ان نجعل الاستعارة اصلا في الاعجاز ؛لان ذلك يؤدي الى ان يكون الاعجاز في ايات محددة في مواضع من السور الطوال المخصوصة كما يقول الجرجاني فاذا امتنع ذلك لم يبق الا ان يكون الاعجاز القراني من وجهه نظر الجرجاني في النظم والتاليف وانكار النظم انكار للاعجاز.

كان الجرجاني معنيا بالرد على من يرى ان بلاغة الكلام في الفاظه او في معانيه، وانما الاعجاز في تلاحم الاثنين معا

وقد عرض في نظرية النظم تصورا جديدا يلغي ثنائية اللفظ والمعنى التي سادت في الفكر البلاغي والنقدي العربي فالنظم عنده محصلة العلاقة القائمة بين الالفاظ والمعاني وينتج عن ذلك كما يسميه الجرجاني (الصورة ،التي تبدو كما لو كانت عنصرا ثالثا مزيجا من اللفظ و المعنى)

وقد تشير القراءة العجلة لكتاب دلائل الإعجاز الى ان الجرجاني كان ميالا الى المعنى دون اللفظ فهو دائم التكرار في ان الالفاظ الدالة على المعاني ، وهذا حق طالما ان الالفاظ وحدها لا تعبر عن معنى دون الدخول في

علاقات وليس للالفاظ قيمة الا في ضوء موقعها من التركيب والتاليف والنظم.

فليس هناك تفاضل في الالفاظ من حيث كونها وحشية او غريبة مألوفة او مأنوسة وقد غاب عن ذهن الكثير من الناس كما يرى الجرجاني ان قولنا (لفظة فصيحة) او (متمكنة) او(مقبولة) وفي خلاف ذلك (قلقة ومستكرهة) هو : تعبير عن حسن الاتفاق او سوء التلاؤم بين الالفاظ فهذه كلها صفات للفظة وهي في موقعها في الكلام ، وليست خارجة عنه ، والدليل على ذلك ان لفظة ما تحسن في موضوع وقدتصبح قبيحة في موضوع اخر .

فالالفاظ على هذا لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلمة مفردة.،بل عندما تكون مؤتلفة في جملة معينة.

وبذلك يقدم الجرجاني مفهوما للفصاحة مخالفة لما يراه جمهور البلاغيين عندما جعلها صفة للفظ، في حين ان الفصاحة عنده ميزة خاصة في المتكلم دون وضع اللغه ، فان استطاع المتكلم إقامة نوع من التلاؤم بين الالفاظ فهو الفصيح وهذه هي الفصاحة وبها يتفاوت المتكلمون .

وتختلف الاساليب او لكون الالفاظ اوعية للمعاني فهي تابعة لها و لا تتحقق المعاني على نحو ما يريد المتكلم الا بان يضع الالفاظ على نسق مخصوص

ويبدو ان الجرجاني هنا يتجاوب مع الجاحظ في قوله(انما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير) على ان يفهم من لفظة التصوير هناك ووفقا لما يرى الجرجاني بانها تعني الاسلوب والنظم والتركيب الذي يميز نصا من نص آخر.

*نظرية النظم وعلم النحو

نظم الحروف ونظم الكلمات

عرّف الجرجاني النظم بأنه(تعليق الكلم بعضها ببعض،وجعل بعضها بسبب من بعض ،والكلم ثلاث:اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، لا يعدو ثلاثة أقسام:تعلق اسم باسم،تعلق اسم بفعل،تعلق حرف بهما) وبذلك كان أول ربط بين النظم وعلم النحو. ولابد من مراعاة المعاني النحوية والصرفية .

*الفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم

نظم الحروف:هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى ،ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد.

أما نظم الكلم: فتقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعني في النفس،وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق.

خلاصة قول الجرجاني

إن النظم هو توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم من علاقات حيث يقول "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو،وتعمل على قوانينه وأصوله،وتعرف مناهجه التي نهجت،فلا تزيغ عنها،وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تبخل بشيء منها".

وهذا التعريف الشامل يوضح مدى العلاقة بين علم النحو وعلم المعاني في تحديد نظرية النظم.

*ما الفرق بين النظم والنحو؟

عندما نحتكم إلى نصوص عبد القاهر حول النظم الذي عده دعاة إحياء النحو رسما لطريق جديد في النحو نجد تفرقة واضحة بين النحو والنظم

فمعاني النحو ثابتة لا تحتاج إلى جهد ومعاناة ،أما "النظم" فيكون في حسن التخير والنظر في وجوه كل باب،فينظر في صور الخبر ،والأساليب

من شرط وتوكيد وتخصيص ،فيجيء بذلك حيث ينبغي له ،ويحتاج ذلك قسطا كبيرا من التذوق والحس الأدبي والسليقة السليمة،وتلك مهمة فوق مهمة البحث في الصواب والخطأ ،وهنا ارتبطت البلاغة بالنحو ارتباطا وثيقا ،حيث تبدأ مهمتها من حيث تنتهي مهمة النحو،لأنها ستتناول الصورة الصحيحة التي تدور حول غرض واحد لترى أيهما أرفع في درجات البلاغة ولماذا.

فنرى ان الجرجاني دائما يكرر القول بانه اذا تغير النظم فلابد حينئذ من ان يتغير المعنى

ان المعنى المطلوب تجسيده تابع من فكر المتكلم ويحقق بارادته والنظم عملية ارادية واعية وهو يختلف عن نظم الحروف نطقا في كلمات فهو نظم اعتباطي لا ارادي للمتكلم فيه وعلى هذا لا قيمة للالفاظ المفردة لوحدها ؛ لانه ليس للمتكلم ان يتصرف في معناها او في نظم حروفها ، والامران هنا اعتباطيان ودور المتكلم يكمن في اختيار اللفظ وتوزيعها على وفق نسق معين يقتضيه ويعجبه المعنى المطلوب للتعبير عنه

فاذا قلنا مثلا(ضرب زيد) فالذي يعود الى المتكلم هو اثبات الضرب لزيد اولا ثم اثبات هذا في زمن مضى وليس اثبات دلالة الضرب على لفظة (ضرب) او وصف على نحو ما هي عليه

انواع العلاقات في الخبر

فصل الجرجاني القول في الخبر وكونه اصل المعاني وانه لا يقوم الا بين شيئين اذ لا تقوم اضافه او وصفا اواشراكا الا اذا اقمت صلة بين لفظ وثان وبالاشتراك بين هذين اللفظين هو ما يسمى بالأضداد الذي هو اصل المعاني وعماد الكلام ولانه اصل وعماد اخذ الرفع علامه لانها ارفع مراتب الاعراب

ولا يستثنى الجرجاني المجاز من فكرة العلاقات في اللفظ لا تكون مجازا بنفسها عندما تنتقل من معناها الحقيقي الى معنى مجازي في المعنى المجازي الجديد لا يكون الا في سياق وليس الامر في قوله تعالى(و

اشتعل الرأس شيبا) فان الاستعارة في اشتعل التي نقلت من معناها الحقيقي الى معنى مجازي وانما في كون الانتقال الى الشيب وقد ترتب على هذا معنى لم يكن للفظة اشتعل سابقا وعلى هذا في المجاز وان كان ظاهرًا قائمًا في اللفظ الى انه في الحقيقة في المعنى الذي هو النظم

*النظم ومستويات الكلام:

عرف عبد القاهر الجرجاني النظم بقوله(اعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه).

ويعرف ايضا بقوله (معلوم ان ليس النظم سوى تعليق الكلمات بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض)

وبهذا ربط عبد القاهر فكرة النظم بالنحو فكان النحو عنده ليس كما يرى الجمهور علم اواخر الكلمات وانما علم تعليق الكلمات ببعضها البعض .

وقد دفع هذا بعض الباحثين المعاصرين الى تلمس مفهوم الجرجاني عن النحو بانه العلم الذي يبحث في اواخر الكلمات وفي مسالة الخطأ والصواب وهو العلم الذي يبحث في طرق التعبير عن المعنى عبر شكل العلاقات التي يسعى الى اقامتها المتكلم ويسمونه نحو المعاني

فنظرية النظم في ضوء هذا التصور هي نظرية في تحليل العلاقات القائمة في الاسلوب الادبي المتميز

وقد لاحظنا ان الميزة والفصل في اي اسلوب تابع من طريقة التركيب او التأليف اي من العلاقات التي يقيمها الكاتب بين الفاظه وما ينجم عن هذا التأليف من تقديم او تأخير او فصل او وصل او قصر او اختصاص او توكيد و هذه الامكانات ذات طبيعة اختيارية ،ولذلك يتميز كاتب من اخر بأسلوب وطريقه نظم يرتفع عن اخر .

فمن الواضح ان الكاتب لا يستطيع ان يتصرف في قواعد اللغة لان طبيعتها الزامية اما قواعد التركيب والنظم فهي حرية التصرف للكاتب

والنظم والتركيب تخضع لبراعة الناظم وفنه اذ يحق للمبدع ان يقدم فنه بطرق مختلفة من الوضوح والغموض او الزيادة والنقصان ،وهذه امور تتجسد على مستوى الصياغة الملموسة بالتقديم او التاخير او الحذف والذكر او التعريف والتنكير .

و هذه الفروق المختلفه في تقديم المعنى يسميها الجرجاني(الاسلوب) وهو(الضرب من النظم والطريقة منه) وفي هذا يكمن تفرد الاسلوب فكما ان الحلي لا تختص بالصائغ من حيث كونها ذهبا او فضة ولكن من جهة العمل والصنعة كذلك الشاعر

*أركان نظريّة النظم إنّ نظريّة النظم

تقوم على أركان أربعة، وهي بالتّرتيب: التّقديم والتّأخير، والحذف، والفروق، والفصل والوصل، وقد رتّب عبد القاهر الجرجاني هذه الفصول من حيث الأولويّة والأهميّة ليدلّل على أنّه كما كان ترتيب الكلام عنده في أيّ إبداع بحسب الأهميّة فإنّ ترتيب هذه الأبواب -كذلك- يدلّ على منهجيّة واضحة قد وضعها في كتابه، وفيما يأتي هذه الأركان:

1-التقديم والتأخير: إنّ عبد القاهر الجرجاني يقترح في نظريته تلك -كما يرى بعض الباحثين- أنّ الكلام يبدأ من الذهن، وهناك يُنتَجُ الكلام وهذه العمليّة تسبق أيّ عملية أخرى، وهناك يُفرض على الكلام تركيبٌ مُعيّن يتطلّب تقديم كلمة على أخرى وتأخير أخرى؛ ليكون الكلام أمضى في فهم الناس، أو كي يكون الكلام أقرب إلى أذهان السامع، ولذلك كان باب التقديم والتأخير هو الباب الأوّل في النظرية، وممّا يُلاحظ في تقسيم هذا الباب:

تقديم اسم على آخر أو تأخيره عنه.

وتقديم الفعل أو الاسم وتأخيرهما. والحرف وتعلّقه بالاسم أو الفعل.

فإذا كان الاسم معرفةً فإن تقديم الاسم عليه أو تقديمه هو على الاسم يبرر بالعناية والاهتمام أيضًا فإذا قلنا : (زيد ينطلق) فقد جعلنا زيداً مبتدأً وجعلنا الجملة

الفعلية خبرا له واذا قلنا : (ينطلق زيد) فقد جعلنا الجملة فعلية فعلها (ينطلق)

وفاعلها (زيد) ، وفي الجملة الأولى أردنا أن نوضح أن زيداً هو من يكون منه الانطلاق بعد ثبوت الفعل وتحققه فالفعل إذن غير مهم كأهمية زيد ؛ ومن أجل ذلك استُعملت الجملة الإسمية ههنا ، بينما نحن في الجملة الثانية نريد أن نثبت فعل الانطلاق لزيدٍ لا الكتابة أو المشي أو غيرهما من الأفعال ولذلك استُعملت الجملة الفعلية ، أي أننا نهتم إما بزيد أو بفعله وبأيهما كان الاهتمام كان التقديم من حقه .

واذا كان الاسم نكرةً فإنه لا يجوز بقاء هذه النكرة على حالها فيجب عندئذ

تعريفها أو تخصيصها بالوصف أو الإضافة فإذا قلنا : (ينطلق الرجل) ، و (

الرجل ينطلق) فإننا نولي اهتماماً بالفعل أو بالاسم النكرة فنقدم أحدهما على الآخر

مع أن الجملة يجب أن يتغير حكمها من كونها جملة إسمية يكون الرجل مبتدأً فيها

إلى جملة فعلية يكون الفعل (ينطلق) فعلاً فيها والرجل فاعله ، وعند وصفه نقول :

(رجل طويل ينطلق) ، (وينطلق رجل طويل) وههنا نحن أمام حالتين أولهما

علاقة الاسم بالاسم فيما بين الرجل وصفته فمن الممكن البحث عن بعض العلاقات

بينهما وهي مع ذلك لا تتجاوز الاهتمام أيضاً أو العناية ، وثانيهما نبحث في العلاقة

بين الفعل والنكرة فتقديم النكرة على الفعل يعني أننا نجعل من النكرة وصفتها مبتدأ

أيضاً وفي الجملة الثانية نجعل من الفعل فعلا في جملة فعلية وتكون النكرة وصفتها

فاعلاً له ، وفي الحالتين فإننا نقدم ما يكون تقديمه أولى بسبب اهتمامنا وعنايتنا

بتقديمه ، فضلا عن رغبتنا بتأخير الثاني أيضا عناية لأمره بأن يكون مؤخرا لأننا لا نريد الحديث عنه أو لأنه لا يمكن أن يكون بنفس الأهمية التي يمتلكها الجزء المقدم

2-الحذف: وهذا الباب يتعلّق بتعديل بنية الكلام التي تكون في الذهن بعد عملية التقديم والتأخير، فمهمة هذا الباب هي مهمة تجميليّة للكلام ليكون أبلغ وأجمل، ومن هنا كانت هذه العمليّة -أي الحذف- تالية لعمليّة التقديم والتأخير في الذهن، ويُلاحظ في هذا الباب أنّ عبد القاهر الجرجاني قد قسّم هذا الباب أقسامًا هي:حذف الاسم وذكره. وحذف الفعل. وحذف الحرف.

وقد قال عنه الجرجاني بانه (باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر ،شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن

الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبْن)وعلى الرغم من ذلك من الممكن متابعة التوزيع السابق الذي وضعناه للتقديم والتأخير فنقول بأن الحذف يكون في الاسم والفعل والحرف .

3-الفروق: وهذا الباب اسمه الفروق في الخبر، وكان يرمي من وراء هذا الباب إلى أشكال الخبر عمومًا من حيث كون الجملة إنشائية أو خبرية، ويميّز في هذا الباب بين نوعين من الخبر، وهما: الخبر الذي يكون جزءًا من الجملة ولا يمكن أن تتمّ فائدة الجملة من دونه وهو خبر المبتدأ في الجملة الاسمية والفعل في الجملة الفعلية، والثاني هو الخبر الذي لا يكون جزءًا من الجملة وإنّما هو زيادة في خبر آخر سابق له، وهذا الخبر هو ما تمثّله الجملة الحاليّة وغيرها من الجمل الخبرية والإنشائية وشبه الجملة أيضًا، ويُلاحظ في تقسيم هذا الباب ما يأتي:

الجملة التي يكون الاسم المكوّن الأساس لها.

والجملة التي يكون الفعل المكوّن الأساس لها.

والجملة التي تكون الحروف المكوّن الأساس لها.

4-الفصل والوصل: وهذا الركن هو الركن الأخير من أركان نظرية النظم، وهو المرحلة الأخيرة في عملية إنشاء الكلام، فبعد التقديم والتأخير داخل الجملة الواحدة، ثم الحذف داخل هذه الجملة كذلك، ثم اختيار الخبر الأنسب، يأتي الفصل والوصل، والإمام عبد القاهر في هذا الباب لا يقف مع الفصل والوصل بين الجمل، وإنّما يتجاوزه ليصل إلى الفصل والوصل بين الكلمات داخل الجملة الواحدة، فيرى أنّ ما ينطبق على المفردات داخل الجملة سينطبق على الجُمَل في مرحلة تالية، ولذلك يقول: "واعلم أنّ سبيلنا أن ننظُرَ إلى فائدة العطف في المُفرد ثُمّ نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرّف حالها"، ويمكن أن يُلاحَظَ في تقسيم هذا الباب ما يلي:

الفصل والوصل الاسمي.

الفصل والوصل الفعلي.

الفصل والوصل في شبه الجملة.

ضبط علاقات الفصل والوصل بين الجمل هو أمْر خارِّج عن الجمل النحوية على الأغلب ويتعلق بالذوق الفني للكاتب فقط ، وما يؤكد فكرتنا هذه قول الجرجاني : (إعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورةً

تستأنف واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه الاعراب الخلَّص والأقوام طبعوا على البلاغة

ولذاعزز دراسته بالحديث عن الفصل والوصل الذي يقع داخل الجملة الواحدة معتبراً أن ما ينطبق عليها ينطبق على الجمل في مرحلة ثانية فيقول أيضًا : (واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها) ولذا فقد استجلب الحديث عن المفردات فقط ليستنتج منها ما يلائم العطف الواقع في الجمل

*مفهوم السرقات الشعرية عند عبد القاهر الجرجاني:

للجرجاني تصور مختلف لمفهوم السرقات الشعرية ،و جدير بالتامل

فهو يذهب الى ان اختلاف صورة الكلام او اسلوبه او نظمه لابد من ان يقود الى اختلاف في المعنى مثل اختلاف الناس بعضهم عن بعض بسبب اشكالهم وصورهم

وبالتالي فان النتيجة المنطقية لمفهوم النظم لابد من ان يقود الى التصور الاتي:

(اختلاف الصورة يكون سببا في اختلاف المعنى والعكس صحيح) ولقد طبق الجرجاني هذا التصور على السرقات وتجنبه لما ذهب اليه عدد من النقاد الذين يتحدثون عن الاخذ والسرقة ،وذهبوا الى ان الشاعر اذا (اخذ معنى عاريا فكساه لفظا من عنده كان احق به) وما الى ذلك

فخالفهم الجرجاني في هذه الآراء قائلاً : كيف لنا ان نتصور ان واحدا احق بالمعنى من اخر اذا لم يحدث في الكلام او المعنى صفة او فضيلة ؟ فاذا صح هذا فليس معنى قولهم كساه لفظا من عنده غير انه احدث في المعنى صورة جديدة تغير المعنى.

ويشير في موضع اخر الى انه لا يتصور ان تكون صورة المعنى في احد الكلامين او البيتين مثل صورته في الاخر، اللهم الا ان يعمد عامد

الى بيت فيضع مكان كل لفظه منه لفظا فيه معناه ولا يعرض لنظمه وتاليفه

مثل ان يقول في بيت الحطيئة

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

ذر المفاخر لا تذهب لمطلبها و اجلس فأنك انت الاكل اللابس

ونستنتج من ذلك انه اذا تغير النظم والتاليف فقد تغير المعنى وليس ثمة سرقة او اخذ ، بل انه مجرد قول النقاد عن تماثل المعاني(انه اخذ المعنى من صاحبه فاحسن و اجاد)

و قولهم(انه اساء وقصر)

دليل على ان المعنى لم ياتِ. هو نفسه والا لم يكن لقوليهما معنى ابدا

فأن (احسن) و(اجاد)و(قصر) لا يعني غير ان الثاني جاء بالمعنى في صوره مختلفه وفي قول النقاد في شاعر ما(انه اخذ المعنى فظهر اخذه) وفي اخر(انه اخذه فأخفق اخذه)

دليل على:

اختلاف النظم و الصورة و التأليف

و يآخذ الجرجاني في تطبيق مهمة هذه السرقات على نصوص شعرية محاولا ان يبين اختلاف المعاني بسبب اختلاف الصياغة